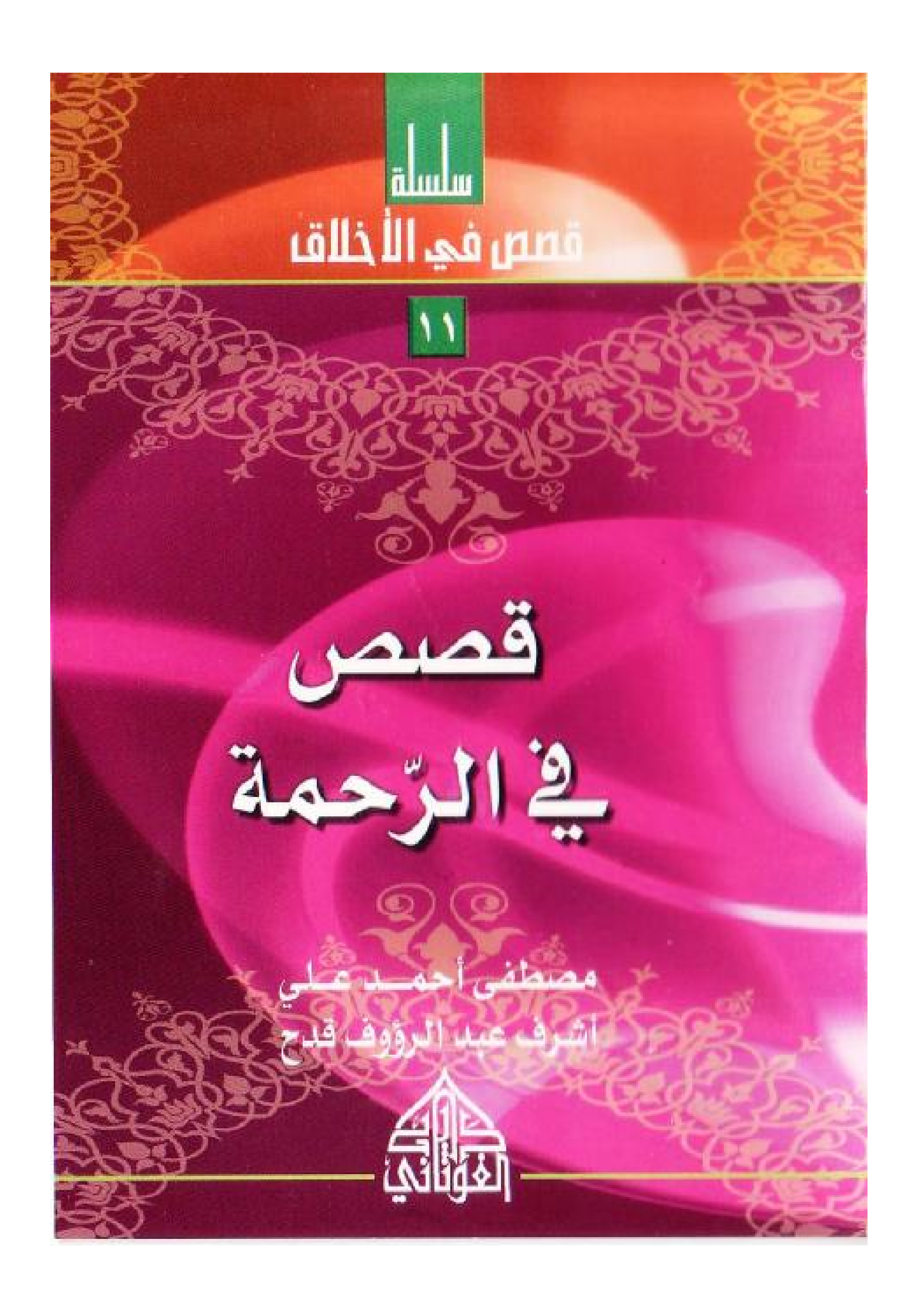
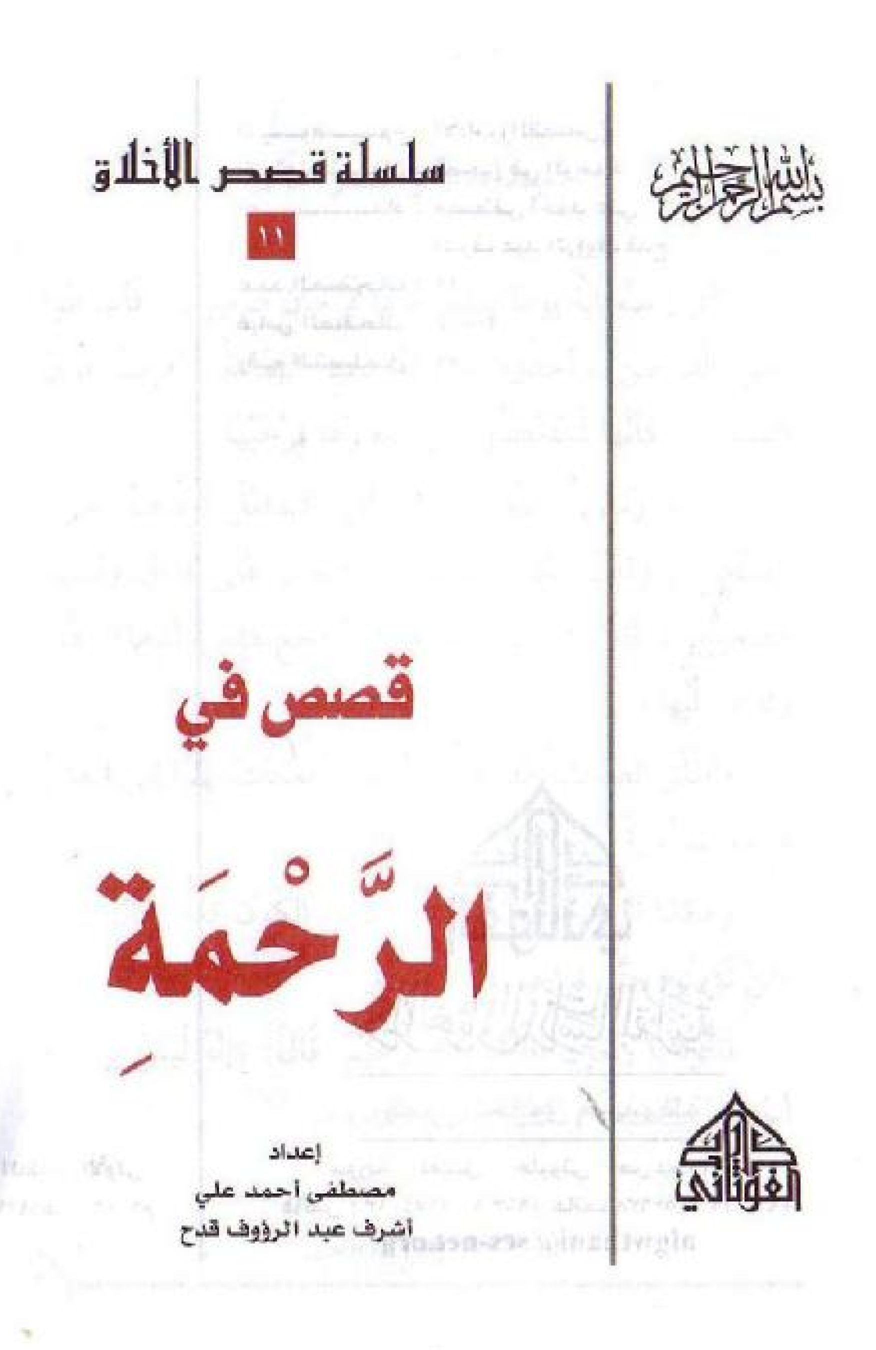

سلسلة
قصص في الأخلاق
١١
قصص
في الرّحمة
مصطفى أحمد علي
أشرف عبد الرؤوف قدح
الغوثاني



بسم الله الرحمن الرحيم
سلسلة قصص الأخلاق
١١
قصص في
الرَّحْمَةِ
إعداد
مصطفى أحمد علي
أشرف عبد الرؤوف قدح

اليَمَامَةُ والفَرْخَانِ

رَأَى الصَّحَابَةُ يومًا يَمَامَةً مَعَهَا فَرْخَانِ صَغِيرَانِ، فَأَسْرَعُوا نَحْوَ الْفَرْخَيْنِ وأَخَذُوهُمَا، فَأَخَذَتِ اليَمَامَةُ تُرَفْرِفُ فَوقَ الصَّحَابَةِ، كَأَنَّهَا تَسْتَعْطِفُهُمْ كَيْ يُعْطُوْهَا فَرْخَيْهَا.

وجَاءَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ ورأَى اليَمَامَةَ تُرَفْرِفُ حَوْلَ الصَّحَابَةِ، وقَلْبُهَا يَكَادُ يَنْخَلِعُ مِنَ الحُزْنِ عَلَى فِرَاقِ وَلَدَيْهَا الصَّغِيرَيْنِ، فَقَالَ ﷺ لأصْحَابِهِ: «مَنْ فَجَعَ هَذِهِ بِولَدِهَا؟ رُدُّوا وَلَدَهَا إِلَيهَا».

فَأَطْلَقَ الصَّحَابَةُ الفَرْخَيْنِ لأُمِّهِمَا، فَعَادَتْ بِهِمَا إِلَى العُشِّ فَرِحَةً مَسْرُورَةً.

وهكَذَا الرَّحْمَةُ فِي الإِسْلامِ تَشْمَلُ الكَوْنَ كُلَّهُ، قَالَ ﷺ: «لَنْ تُؤْمِنُوا حَتَّى تَرَاحَمُوا».

قَالُوا يا رَسُولَ اللَّهِ، كُلُّنَا رَحِيمٌ. قَالَ: «إِنَّهُ لَيْسَ بِرَحْمَةِ أَحَدِكُمْ صَاحِبِهِ، ولَكِنَّهَا رَحْمَةُ العَامَّةِ».



الرُّحَمَاءُ

أَرْسَلَتْ إِحْدَى بَنَاتِ النَّبِيِّ ﷺ إليهِ تُخْبِرُهُ أنَّ ابْنًا لَهَا مَاتَ، وتَطْلُبُ منهُ أنْ يَأْتِيَ.

فأرْسَلَ الرَّسُولُ ﷺ مَنْ يُقْرِئُهَا السَّلامَ، ويقُولُ لَهَا: «إنَّ للَّهِ مَا أخَذَ ولَهُ مَا أعْطَى، وكُلُّ شَيءٍ عِنْدَهُ بِأجَلٍ مُسَمًّى، فَلْتَصْبِرْ ولْتَحْتَسِبْ». فَأرْسَلَتْ إليهِ ﷺ مَرَّةً ثَانِيَةً أنْ يَأْتِيَ إِلَيْهَا.

فَذَهَبَ ﷺ إِلَيْهَا، وكَانَ مَعَهُ سَعْدُ بْنُ عُبَادَةَ، وَمُعَاذُ بْنُ جَبَلٍ، وأُبَيُّ بْنُ كَعْبٍ، وزَيْدُ بْنُ ثَابِتٍ، وَصَحَابَةٌ آخَرُونَ - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ -.

فَلَمَّا جَاءَ النَّبِيُّ ﷺ حَمَلَ ابْنَهَا بَينَ يدَيهِ، وفَاضَتْ عَيْنَاهُ بِالدُّمُوعِ.

فَقَالَ سَعْدُ بْنُ عُبَادَةَ - رَضِيَ اللَّهُ عَنْه -: يا رَسُولَ اللَّهِ، مَا هَذَا؟!

فَقَالَ ﷺ: «هَذِهِ رَحْمَةٌ جَعَلَهَا اللَّهُ فِي قُلُوبِ عِبَادِهِ، وإنَّمَا يَرْحَمُ اللَّهُ مِنْ عِبَادِهِ الرُّحَمَاءَ».



القُبْلَةُ الطَّيِّبَةُ

زَارَ الأَقْرَعُ بْنُ حَابِسٍ ـ رَضِيَ اللَّهُ عَنْه ـ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ وبَيْنَمَا هُوَ جَالِسٌ عِنْدَهُ رَأى النَّبِيَّ ﷺ يقَبِّلُ الحَسَنَ بْنَ عَلِي ـ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا ـ ، فَتَعَجَّبَ مِمَّا رَآهُ، فإِنَّ لَهُ عَشْرَةَ مِنَ الوَلَدِ مَا قَبَّلَ أحَدًا مِنْهُمْ أبَدًا، وتَسَاءَلَ فِي دَهْشَةٍ: تُقَبِّلُونَ صِبْيانَكُمْ؟ فَمَا نُقَبِّلُهُمْ!!

فَتَعَجَّبَ النَّبِيُّ ﷺ مِنْ جَفَاءِ الأَقْرَعِ ـ رَضِيَ اللَّهُ عَنْه ـ وغِلْظَتِه مَعَ أولادِهِ، ووَجَّهَ إلَيهِ لَوْمًا وعِتَابًا شَدِيدَيْنِ، وقَالَ لَهُ: «أوَ أمْلِكُ لَكَ أنْ نَزَعَ اللَّهُ مِنْ قَلْبِكَ الرَّحْمَةَ!» (أيْ: لا أمْلِكُ لَكَ شَيئًا إنْ كَانَ اللَّهُ قَدْ نَزَعَ مِنْ قَلْبِكَ الرَّحْمَةَ)، وحَذَّرَهُ ﷺ عَاقِبَةَ القَسْوَةِ والْجَفَاءِ، فَقَالَ لَهُ: «مَنْ لا يَرْحَمُ لا يُرْحَمُ».

* * * * *

القَلْبُ الكَبِيرُ

جَاءَ أَحَدُ الأَعْرَابِ إِلَى رَسُولِ اللَّهِ ﷺ، فَلَمَّا وَصَلَ إِلَى الْمَسْجِدِ نَزَلَ عَنْ رَاحِلَتِهِ، ورَبَطَهَا.

ثُمَّ صَلَّى الأَعْرَابِيُّ خَلْفَ الرَّسُولِ ﷺ، وبَعْدَ أَنْ فَرَغَ مِنَ الصَّلاةِ، نَادَى بِصَوتٍ مُرْتَفِعٍ: اللَّهُمَّ ارْحَمْنِي ومُحَمَّداً، ولا تُشْرِكْ فِي رَحْمَتِنَا أَحَداً.

فَأَرَادَ ﷺ أَنْ يُبَيِّنَ لَهُ أَنَّ رَحْمَةَ اللَّهِ واسِعَةٌ، فَقَالَ لَهُ: «لَقَدْ حَظَرْتَ (ضَيَّقْتَ) رَحْمَةً واسِعَةً، إِنَّ اللَّهَ خَلَقَ مِئَةَ رَحْمَةٍ، فَأَنْزَلَ رَحْمَةً يَتَعَاطَفُ بِهَا الخَلْقُ جِنُّهَا وإِنْسُهَا وبَهَائِمُهَا، وعِنْدَهُ تِسْعَةٌ وتِسْعُونَ».

الغُلامُ والسَّوْطُ

أَمْسَكَ أَبُو مَسْعُودٍ الأَنْصَارِيُّ ـ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ ـ خَادِمًا لَهُ يَوْمًا، وَظَلَّ يَضْرِبُهُ بِسَوْطِهِ، والخَادِمُ يَسْتَغِيثُ ويَقُولُ: أَعُوذُ بِاللَّهِ، أَعُوذُ بِرَسُولِ اللَّهِ.

وبَيْنَمَا أَبُو مَسْعُودٍ يَفْعَلُ ذَلِكَ إِذْ سَمِعَ صَوتًا يُنَادِيهِ مِنْ خَلْفِهِ، يَقُولُ لَهُ: «اعْلَمْ أَبَا مَسْعُودٍ!». فَالتَفَتَ لِيَنْظُرَ مَنْ ذَا الَّذِي يُنَادِيهِ، فَإِذَا هُوَ النَّبِيُّ ﷺ يُكَرِّرُ النِّدَاءَ: «اعْلَمْ أَبَا مَسْعُودٍ! اعْلَمْ أَبَا مَسْعُودٍ!». وهُنَا أَحَسَّ أَبُو مَسْعُودٍ بِخَطَئِهِ، فَاسْتَحْيَا مِنَ اللَّهِ، ومِنْ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ، وسَقَطَ السَّوْطُ مِنْ يَدِهِ.

فَقَالَ لَه ﷺ: «اِعْلَمْ أبَا مَسْعُودٍ أنَّ اللَّهَ أقْدَرُ عَلَيْكَ مِنْكَ عَلَى هَذَا الغُلامِ».

فَاعْتَذَرَ أبُو مَسْعُودٍ إلَى الرَّسُولِ ﷺ، وقَالَ: لاَ أضْرِبُ مَمْلُوكاً بَعْدَهُ أبَداً، وهُوَ حُرٌّ لِوَجْهِ اللَّهِ تَعَالَى.

فقَالَ لَهُ النَّبِيُّ ﷺ: «أمَا لَوْ لَمْ تَفْعَلْ (أي تُعْتِقْهُ) لَمَسَّتْكَ النَّارُ».

الرَّحْمَةُ بالدَّوَابِّ

ذَاتَ يَوْمٍ، رَأى الرَّسُولُ ﷺ مَنْظَرًا عَجِيبًا، رَأى رِجَالاً جَالِسِينَ عَلَى ظُهُورِ دَوابِّهِمْ ورَوَاحِلِهِمْ، يَتَحَدَّثُونَ فِيمَا بَيْنَهُمْ، وَرَأى الدَّوابَّ وُقُوفًا كَأنَّ الرِّجَالَ اتَّخَذُوهَا كَرَاسِيَ يَجْلِسُونَ عَلَيهَا، فَقَالَ ﷺ لَهُمْ: «ارْكَبُوهَا سَالِمَةً، ودَعُوهَا سَالِمَةً، ولا تَتَّخِذُوهَا كَرَاسِيَ لأحَادِيثِكُمْ فِي الطُّرُقِ والأسْوَاقِ، فَرُبَّ مَرْكُوبَةٍ هِيَ خَيرٌ مِنْ رَاكِبِهَا، وأكْثَرُ ذِكْرًا لِلَّهِ ـ تَبَارَكَ وتَعَالَى ـ مِنْهُ».

هَكَذَا يَحُثُّنَا الإسْلامُ عَلَى الرَّحْمَةِ بِالْحَيَوَانِ، وقَدْ قَالَ ﷺ: «إذَا سِرْتُمْ فِي الخِصْبِ فَأمْكِنُوا الرِّكَابَ أسْنَانَهَا» (أيْ: اتْرُكُوهَا تَأكُلُ حَتَّى تَقْوَى عَلَى السَّيْرِ).

وقَدْ مَرَّ رَسُولُ اللَّهِ بِبَعِيرٍ قَدِ الْتَصَقَ ظَهْرُهُ بِبَطْنِه مِنْ شِدَّةِ الجُوعِ والْجَهْدِ، فَقَالَ: «اتَّقُوا اللَّهَ فِي هَذِهِ البَهَائِمِ الْمُعْجَمَةِ، فَارْكَبُوهَا صَالِحَةً، وكُلُوهَا صَالِحَةً».

الرَّحْمَةُ باليتامَى

جَاءَ الرَّسُولُ ﷺ إِلَى بَيْتِ جَعْفَرَ بْنِ أَبِي طَالِبٍ ـ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ ـ وأخْبَرَهُمْ بِاسْتِشْهَادِهِ فِي غَزْوَةِ مُؤْتَةَ، فَبَكَتْ زَوجَتُهُ أَسْمَاءُ بِنْتُ عُمَيسٍ ـ رَضِيَ اللَّهُ عَنْها ـ وبَكَى أَبْنَاؤُهُ عَبْدُ اللَّهِ وعَوْنٌ ومُحَمَّدٌ ـ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهم ـ، فَأَخَذَ النَّبِيُّ ﷺ أَبْنَاءَ جَعْفَرَ وَضَمَّهُمْ إِلَى صَدْرِهِ وقَبَّلَهَم، وبَكَى لِبُكَائِهِمْ.

وفِي اليَوْمِ الثَّالِثِ، أَرْسَلَ النَّبِيُّ ﷺ إِلَى أَبْنَاءِ جَعْفَرَ، وطَلَبَ الْحَلاَّقَ، وأَمَرَهُ أَنْ يحْلِقَ رُؤُوسَهُمْ، ويقول: «أَمَّا مُحَمَّدٌ فَشَبِيهُ عَمِّنَا أَبِي طَالِبٍ، وأَمَّا عَوْنٌ فَشَبِيهُ خَلْقِيْ وخُلُقِيْ». وأَمْسَكَ بِيَدِ عَبْدِ اللَّهِ، ودَعَا لَهُ قَائلاً: «اللَّهُم اخْلُفْ جَعْفَرَ فِي أَهْلِهِ، وبَارِكْ لِعَبْدِ اللَّهِ فِي صَفْقَةِ يَمِيْنِه (تجارته)».

فَمَا أَعْظَمَ رَحْمَةَ الإسْلامِ بِالْيَتَامَى، ومَا أَجَلَّ حِرْصَهُ عَلَيهِمْ.

الْجَمَلُ البَاكِي

فِي يَوْمٍ مِنَ الأَيَّامِ، دَخَلَ النَّبِيُّ ﷺ حَدِيقَةً، فَوَجَدَ بِهَا جَمَلاً، فَلَمَّا رأَى الْجَمَلُ رَسُولَ اللهِ ﷺ بكَى، وَسَالَتِ الدُّمُوعُ مِنْ عَيْنَيْهِ بِغَزَارَةٍ.

فَاقْتَرَبَ النَّبِيُّ ﷺ مِنَ الْجَمَلِ، وَمَسَحَ بِيدَيهِ الشَّرِيفَتَينِ خَلْفَ أُذُنِه فَاطْمَأَنَّ الْجَمَلُ، وتَوَقَّفَ عَنِ الْبُكَاءِ.

وسَأَلَ النَّبِيُّ ﷺ عَنْ صَاحِبِ الْجَمَلِ، فَقَالَ شَابٌّ مِنَ الأَنْصَارِ: لِيْ يا رَسُولَ اللَّه.

فَعَاتَبَهُ النَّبِيُّ ﷺ عَلَى قَسْوَتِهِ، وَأَرْشَدَهُ إِلَى ضَرُورَةِ الرَّحْمَةِ بِالْحَيوَانِ، وقَالَ لَهُ: «أفَلا تَتَّقِي اللَّهَ فِي هَذِهِ البَهِيمَةِ الَّتِي مَلَّكَكَ اللَّهُ إِيَّاهَا، فَإِنَّهُ شَكَى لِيْ أَنَّكَ تُجِيعُهُ وتُدْئِبُهُ» (أَيْ: تُرْهِقُهُ وتُتْعِبُهُ فِي الْعَمَلِ، وتُحَمِّلُهُ مَا لاَ يُطِيقُ، وَلا تُعْطِيهِ حَقَّهُ مِنَ الطَّعَامِ والرَّاحَةِ).

الأَسِيرَةُ

عَادَ الْمُسْلِمُونَ مُنْتَصِرِينَ مِنْ إِحْدَى الغَزَوَاتِ، وجَاؤُوا بِالغَنَائِمِ وَالأَسْرَى إِلَى رَسُولِ اللَّهِ ﷺ، فَلَمَّا نَظَرَ ﷺ إِلَى الأَسْرَى، رَأَى بَيْنَهُمْ امْرَأَةً تَجْرِي هُنَا وهُنَاكَ فِي لَهْفَةٍ وأَسًى وَهِيَ تَبْكِيْ، حَتَّى وجَدَتِ ابْنَهَا الصَّغِيرَ، فَأَخَذَتْهُ إِلَيهَا فِي رِقَّةٍ وحَنَانٍ، وحَمَلَتْهُ بَيْنَ ذِرَاعَيْهَا، وَضَمَّتْهُ إِلَى صَدْرِهَا، وأَخَذَتْ تُرْضِعُهُ.

فَسَأَلَ الرَّسُولُ ﷺ صَحَابَتَهُ الَّذِينَ رَأَوْا ذَلِكَ الْمَشْهَدَ الْمُثِيْرَ: «أَتَرَوْنَ هَذِهِ الْمَرْأَةَ طَارِحَةً ولَدَهَا فِي النَّارِ؟».

لَمْ يُفَكِّرِ الصَّحَابَةُ طَوِيلاً، بَلْ قَالُوا: لا واللَّهِ! وَهِيَ تَقْدِرُ عَلَى أَنْ لاَ تَطْرَحَهُ (أَيْ: لاَ تستَطِيعُ ذَلِكَ أَبدًا).

عِنْدَئِذٍ قَالَ لَهُمْ ﷺ: «لَلَّهُ أَرْحَمُ بِعِبَادِهِ مِنْ هَذِهِ بِوَلَدِهَا».

وهَذَا مَثَلٌ لِرَحْمَةِ اللَّهِ بِعِبَادِهِ، ضَرَبَهُ لَنَا الرَّسُولُ ﷺ، لِنَعْلَمَ أَنَّ رَحْمَةَ اللَّهِ وَسِعَتْ كُلَّ شَيْءٍ.

الطَّائِرُ الأَسِيرُ

خَرَجَ جَمَاعَةٌ مِنَ الأَوْلَادِ لِيَلْعَبُوا، فَأَحْضَرَ أَحَدُهُمْ طَائِراً ورَبَطَهُ؛ لِيَكُونَ هَدَفًا يرْمُونَهُ بِسِهَامِهِمْ، واتَّفَقُوا عَلى أَنَّ السِّهَامَ الطَّائِشَةَ تَكُونُ مِنْ نَصِيبِ صَاحِبِ الطَّائِرِ.

واسْتَعَدَّ الأَولَادُ لِبَدْءِ اللَّعِبِ، فَأَعَدَّ كُلُّ وَاحِدٍ مِنْهُم نَبْلَهُ وسِهَامَهُ، وتَقَدَّمَ أَحَدُهُمْ ووَضَعَ سَهْمَهُ فِي قَوْسِهِ، وَرَكَّزَ نَظَرَهُ عَلَى الطَّائِرِ، ولَمَّا هَمَّ بِإِطْلَاقِ السَّهْمِ، شَاهَدَ رِفَاقَهُ يَجْرُونَ خَائِفِينَ، فَنَظَرَ فَرَأى عَبْدَ اللَّهِ بْنَ عُمَرَ ـ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا ـ فَأَسْرَعَ هُوَ الآخَرُ بِالْفِرَارِ، تَارِكًا الطَّائِرَ مَرْبُوطًا فِي مَكَانِهِ.

شَاهَدَ عَبْدُ اللَّهِ بْنُ عُمَر ـ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا ـ الطَّائِرَ مَرْبُوطًا، فَأَسْرَعَ نَحْوَهُ، وحَلَّ قَيْدَهُ، وفَكَّ أَسْرَهُ، وأَطْلَقَهُ، ثُمَّ قَالَ: لَعَنَ اللَّهُ مَنْ فَعَلَ هَذَا، إنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ لَعَنَ مَنِ اتَّخَذَ شَيْئًا فِيهِ الرُّوحُ غَرَضًا (هَدَفًا).



رَحْمَةٌ وإنْصَافٌ

كَانَ أَميرُ الْمُؤمِنِينَ عُمَرُ بْنُ الخَطَّابِ ـ رَضِي اللَّهُ عَنْه ـ يسيرُ فِي طَرِيقٍ مِنْ طُرُقِ الْمَدِينَةِ الْمُنَوَّرَةِ، فَرَأَى شَيخًا قَدْ شَابَ شَعْرُهُ، وانْحَنَى ظَهْرُهُ، يَسِيرُ مُسْتَنِدًا عَلَى عَصَاهُ، يَسْأَلُ النَّاسَ أَنْ يَتَصَدَّقُوا عَلَيهِ.

لَمْ يكُنِ الشَّيخُ مُسْلِمًا، بَلْ كَانَ مِنْ أهْلِ الذِّمَّةِ الْمُقِيمِينَ فِي بِلادِ الْمُسْلِمِينَ، تَحْمِيْهِمْ دَولَةُ الإِسْلامِ، وتَرْعَاهُمْ، وتَأْخُذُ مِنَ القَادِرِينَ مِنْهُمْ مَبْلَغًا زَهِيدًا (الْجِزْيَةَ)، نَظِيرَ مَا يُقَدَّمُ لَهُمْ مِنْ خِدْمَةٍ ورِعَايةٍ.

ولَمَّا عَلِمَ أَميرُ الْمُؤمِنِينَ بِأمْرِ الرَّجُلِ رَقَّ لَهُ، وشَعَرَ بِالرَّحْمَةِ والشَّفَقَةِ نَحْوهُ، وقَالَ: مَا أنْصَفْنَاكَ.. أخذْنَا مِنْكَ الْجِزْيَةَ فِي شَبِيبَتِكَ (شَبَابِكَ) ثُمَّ ضَيَّعْنَاكَ فِي كِبَرِكَ.

وأصْدَرَ أوَامِرَهُ بِإسْقَاطِ الْجِزْيَةِ عَنِ الرَّجُلِ، وأمَرَ أنْ يُصْرَفَ لَهُ مَبْلَغٌ شَهْرِيٌّ مِنَ الْمَالِ يكْفِي لِقَضَاءِ حَوَائِجِهُ، فَانْصَرَفَ الشَّيخُ سَعِيدًا رَاضِيا بِكَرَمِ أَميرِ الْمُؤمِنِينَ، ورَحْمَةِ الإِسْلَامِ بِأهْلِهِ ورَعَايَاهُ.



عَوْدَةُ الغَائِبِ

ذَاتَ يومٍ، كَانَ القَائِدُ الْمُسْلِمُ صَلاحُ الدِّينِ الأَيُّوبِيُّ جَالِسًا فِي خَيمَتِه، فَجَاءَتْهُ امْرَأَةٌ مِنْ غَيرِ الْمُسْلِمِينَ فَمَنَعَهَا الْحُرَّاسُ مِنَ الدُّخُولِ، فَجَلَسَتْ عَلَى مَقْرُبَةٍ مِنْ خَيمَتِهِ تَبْكِي. فَسَمِعَ صَلاحُ الدِّينِ بُكَاءَهَا، فَأَمَرَ صَلاحُ الدِّينِ بِإِدْخَالِهَا، فَلَمَّا دَخَلَتْ قَالَتْ: لَقَدْ أُسِرَ زَوْجِي فِي الْحَرْبِ، واخْتَطَفَ اللُّصُوصُ ابْنِيْ الصَّغِيرَ.

فَتَأَثَّرَ صَلاحُ الدِّينِ لِحَالِهَا، ورَقَّ قَلْبُهُ رَحْمَةً بِهَا، فأَمَرَ بِإِخْرَاجِ زَوْجِهَا مِنْ بَينِ الأَسْرَى، ثُمَّ أَمَرَ الْجُنُودَ بِالبَحْثِ عَنِ ابْنِهَا.

فَخَرَجَ الْجُنُودُ يبْحَثُونَ عَنِ الغُلامِ حَتَّى وجَدُوهُ، فَأَحْضَرُوهُ إِلَيهَا، فَفَرِحَتْ وأَخَذَتْ تَدْعُو لِصَلاحِ الدِّينِ بِالْخَيرِ والْبَرَكَةِ، فَأَخْبَرَهَا صَلاحُ الدِّينِ بِأَنَّ هَذِهِ هِيَ أَخْلاقُ الإِسْلامِ، الَّذِي يأمُرُنَا أَنْ نَرْحَمَ النَّاسَ جَمِيعًا.

فَقَالَتِ السَّيِّدَةُ: مَا أَجْمَلَ دِينَكُمْ هَذَا الَّذِي يأمُرُ بِالرَّحْمَةِ ومُسَاعَدَةِ الضُّعَفَاءِ!

وأَسْلَمَتِ الْمَرْأَةُ، وأَسْلَمَ زَوْجُهَا؛ إِعْجَابًا بِرَحْمَةِ الإِسْلامِ وأَبْنَائِه.

* * * * *

الفِطَامُ الْمُبَكِّرُ

عَلِمَ أَمِيرُ الْمُؤْمِنِينَ عُمَرُ بْنُ الْخَطَّابِ - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ - أَنَّ جَمَاعَةً مِنَ التُّجَّارِ جَاؤُوا إِلَى الْمَدِينَةِ، وأَنَّهُم مُقِيمُونَ بِالْمَسْجِدِ، فَخَرَجَ وَمَعَهُ عَبْدُ الرَّحْمَنِ بْنُ عَوْفٍ - رَضِيَ اللَّهُ عَنْه - لِحِرَاسَةِ التُّجَّارِ طُوَالَ اللَّيلِ.

وَوَسَطَ اللَّيلِ سَمِعَ عُمَرُ بُكَاءَ صَبِيٍّ، فَتَوَجَّهَ نَحْوَهُ، وقَالَ لأُمِّ الصَّبِيِّ: اتَّقِي اللَّهَ وَأَحْسِنِي إِلَى صَبِيِّكِ. ثُمَّ عَادَ إِلَى مَكَانِه، وتَكَرَّرَ هَذَا الأَمْرُ مَرَّةً ثَانِيةً. وفِي آخِرِ اللَّيلِ سَمِعَ عُمَرُ بُكَاءَ الطِّفْلِ، فَذَهَبَ إِلَى أُمِّه، وقَالَ لَهَا: وَيْحَكِ إِنِّي لأَرَاكِ أُمَّ سَوْءٍ، مَا لِيَ أَرَى ابْنَكِ لاَ يَقِرُّ؟! (لاَ يَهْدَأُ).

فَغَضِبَتِ الأُمُّ مِنْ قَوْلِه - وَهِيَ لا تَعْرِفُهُ - وأَخْبَرَتْهُ أَنَّهَا تَسْتَعْجِلُ فِطَامَ ابْنِهَا؛ حَتَّى يَكُونَ لَهُ نَصِيبٌ مِمَّا يُعْطِيهِ عُمَرُ لِلْمُسْلِمِينَ مِنْ بَيتِ الْمَالِ؛ فإِنَّ عُمَرَ لاَ يُعْطِي الرَّضِيعَ.

فَتَأَثَّرَ عُمَرُ - رَضِيَ اللَّهُ عَنْه - بِمَا سَمِعَ، وبَكَى كَثِيراً، حَتَّى إِنَّ النَّاسَ لَمْ تَسْمَعْ قِرَاءَتَهُ فِي صَلاةِ الْفَجْرِ مِنْ شِدَّةِ بُكَائِه، ولَمَّا انْتَهَى مِنَ الصَّلاةِ قَالَ: يَا بُؤْسًا لِعُمَرَ، كَمْ قَتَلَ مِنْ أَولادِ الْمُسْلِمِينَ، ثُمَّ أَمَرَ مُنَادِياً يُنَادِي: أَلا لا تُعْجِلُوا صِبْيَانَكُمْ عَنِ الفِطَامِ؛ فَإِنَّا نَفْرِضُ لِكُلِّ مَوْلُودٍ فِي الإِسْلامِ.

الطِّفْلُ البَاكِي

وَسَطَ صَحَرَاءَ جَرْدَاءَ لاَ زَرْعَ فِيهَا وَلاَ مَاءَ، وَقَفَتْ هَاجَرُ، وابْنُهَا الرَّضِيعُ إِسْمَاعِيلُ - عَلَيهِ السَّلامُ - ولَيسَ مَعَهُمَا إلاَّ اللَّهُ.

فَلَقَدْ نَفَدَ كُلُّ مَا مَعَهَا مِنَ الطَّعامِ والشَّرَابِ، وطِفْلُهَا الرَّضِيعُ لاَ يَكُفُّ عَنِ الْبُكَاءِ، مِنْ شِدَّةِ الجُوعِ والْعَطَشِ.

واضْطَرَبَ قَلْبُ هَاجَرَ شَفَقَةً علَى ولَدِهَا الصَّغِيرِ، فَرَاحَتْ تَجْرِي وتَصْعَدُ جَبَلَ الصَّفَا، بَاحِثَةً عَنْ شَيءٍ تَرْوِي بِهِ عَطَشَ صَغِيرِهَا، أَوْ عَسَى أَنْ تَجِدَ أَحَدًا يسَاعِدُهَا، ويَمُدُّ لَهَا يَدَ الْعَوْنِ، فَلَمَّا لَمْ تَجِدْ شَيْئًا عَادَتْ مُسْرِعَةً نَحْوَ جَبَلِ الْمَرْوَةِ، وصَعَدَتْهُ فَلَمْ تَجِدْ شَيْئًا، وظَلَّتْ تَتَرَدَّدُ بَيْنَ الصَّفَا والْمَرْوَةِ.

فَلَمَّا رَأَى اللَّهُ - تَعَالَى - رحْمَتَهَا بِولِيدِهَا، وشَفَقَتَهَا عَلَيهِ، أَنْزَلَ عَلَيهِمَا رَحْمَتَهُ، وفَجَّرَ مَاءَ زَمْزَمَ عِنْدَ قَدَمِ إِسْمَاعِيلَ، وجَاءَتِ الأمُّ فَسَقَتْهُ حَتَّى ارْتَوى، ثُمَّ شَرِبَتْ وحَمِدَتْ رَبَّهَا.

❊ ❊ ❊ ❊ ❊

السُّؤَالُ الصَّعْبُ

ذَاتَ يَومٍ، جَلَسَ أَمِيرُ الْمُؤْمِنِينَ عُمَرُ بْنُ عَبْدِ الْعَزِيزِ ـ رَحِمَهُ اللَّهِ ـ يفَكِّرُ فِي شُؤُونِ رَعِيَّتِهِ، فَتَذَكَّرَ الْمُسْؤُولِيَّاتِ الْكَثِيرَةَ الَّتِي يَجِبُ أَنْ يُؤَدِّيهَا لِلنَّاسِ، فَبَكَى بُكَاءً شَدِيداً، ودَخَلَتْ عَلَيهِ زَوجَتُهُ فَاطِمَةُ بِنْتُ عَبْدِ الْمَلِكِ، فَرَأَتْهُ ويَدُهُ عَلَى خَدِّهِ، ودُمُوعُهُ تَسِيْلُ مِنْ عَيْنَيهِ، فَظَنَّتْ أَنَّ شَيئًا مَا قَدْ حَدَثَ، فَسَأَلَتْهُ عَمَّا يُبْكِيهِ.

فَقَالَ: يا فَاطِمَةُ، إِنِّي تَقَلَّدْتُ أَمْرَ أُمَّةِ مُحَمَّدٍ ﷺ، فَتَفَكَّرْتُ فِي الفَقِيرِ الْجَائِعِ، وَالْمَرِيضِ الضَّائعِ، وَالعَارِي الْمَجْهُودِ، وَالْمَظْلُومِ الْمَقْهُورِ، وَالْغَرِيبِ الْمَأْسُورِ، وَالكَبِيرِ، وَذِي العِيَالِ فِي أَقْطَارِ الأَرْضِ، فَعَلِمْتُ أَنَّ رَبِّي سَيَسْأَلُنِي عَنْهُم، وأَنَّ خَصْمِي دُونَهُم مُحَمَّدٌ ﷺ، فَخَشِيْتُ أَلا تَثْبُتَ لِي حُجَّةٌ عِنْدَ خُصُومَتِهِ، فَرَحِمْتُ نَفْسِي، فَبَكَيْتُ.

لَقَدْ خَشِيَ أَمِيرُ الْمُؤْمِنِينَ أَنْ يُفَرِّطَ فِي حَقٍّ مِنْ حُقُوقِ أُمَّةِ مُحَمَّدٍ ﷺ، أَوْ يَعْجَزَ عَنِ الْقِيامِ بِمَا يَجِبُ عَلَيهِ نَحْوَهَا، فَيَتَعَرَّضَ لِلْحِسَابِ الشَّدِيدِ مِنَ اللَّهِ يَوْمَ القِيَامَةِ فَبَكَى شَفَقَةً عَلَى نَفْسِهِ ورَحْمَةً بِهَا.

* * * * *

قِصَصٌ فِي الرَّحْمَةِ

الرَّحْمَةُ خُلُقٌ عَظِيمٌ مِنْ أَخْلاقِ الإِسْلامِ، كَتَبَهَا اللَّهُ عَلَى نَفْسِهِ، فَهُوَ الرَّحْمَنُ الرَّحِيمُ، قَالَ تَعَالَى: ﴿كَتَبَ رَبُّكُمْ عَلَىٰ نَفْسِهِ ٱلرَّحْمَةَ﴾ [الأنعام: ٥٤].

والرَّحْمَةُ صِفَةٌ مِنْ صِفَاتِ الأَنْبِياءِ والرُّسُلِ، وقَدْ كَانَ رَسُولُنَا الكَرِيمُ ﷺ رَحْمَةً تَمْشِي عَلَى الأَرْضِ، قَالَ تَعَالَى: ﴿لَقَدْ جَآءَكُمْ رَسُولٌ مِّنْ أَنفُسِكُمْ عَزِيزٌ عَلَيْهِ مَا عَنِتُّمْ حَرِيصٌ عَلَيْكُم بِٱلْمُؤْمِنِينَ رَءُوفٌ رَّحِيمٌ﴾ [التوبة: ١٢٨].

ووَصَفَ اللَّهُ عِبَادَهُ الْمُؤْمِنِينَ بِالرَّحْمَةِ، فَقَالَ: ﴿مُّحَمَّدٌ رَّسُولُ ٱللَّهِ وَٱلَّذِينَ مَعَهُۥٓ أَشِدَّآءُ عَلَى ٱلْكُفَّارِ رُحَمَآءُ بَيْنَهُمْ﴾ [الفتح: ٢٩].

والرَّحْمَةُ هِيَ الشَّفَقَةُ واللِّينُ والرَّأْفَةُ وَرِقَّةُ الْمَشَاعِرِ والأَحَاسِيسِ وبَشَاشَةُ الْوجْهِ، والْبُعْدُ عَنِ القَسْوَةِ والْجَفَاءِ. فَمَا أَجْمَلَ أَنْ نَتَخَلَّقَ بِهَذَا الْخُلُقِ الكَرِيمِ.

وهَذِهِ القِصَصُ الَّتِي قَرَأْنَاهَا تُقَدِّمُ لَنَا نَمَاذِجَ طَيِّبَةً لِخُلُقِ الرَّحْمَةِ، حَتَّى نَتَعَلَّمَ مِنْهَا، ونَقْتَدِيَ بِأَصْحَابِهَا، ونَكُونَ مِنَ الرُّحَمَاءِ.


سلسلة قصص في الأخلاق
١ - قصص في الأخلاص
٢ - قصص في الأمــانة
٣ - قصص في الإيثــار
٤ - قصص في البــر
٥ - قصص في التعاون
٦ - قصص في التواضع
٧ - قصص في التوكل
٨ - قصص في الحب
٩ - قصص في الحِـلم
١٠- قصص في الحيـاء
١١- قصص في الرحمة
١٢- قصص في الشجاعة
١٣- قصص في الشكر
١٤- قصص في الشورى
١٥- قصص في الصبر
١٦- قصص في الصدق
١٧- قصص في الطاعة
١٨- قصص في العـدل
١٩- قصص في العفـو
٢٠- قصص في الكـرم
٢١- قصص في الوفـاء
مكتبة نور الهداية
حلب - أقيول
٨١٠٠٥٦